

الدرس : 39 - سورة الأعراف - تفسير الآيات 134 - 137



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته وارضن عنا وعنهم يارب العالمين .
أيها الإخوة الكرام، مع الدرس التاسع والثلاثين من دروس سورة الأعراف .

الشدائد التي يسوقها الله عز وجل لعباده من أجل أن يدفعهم إلى بابه :

ومع الآية الرابعة والثلاثين بعد المنة، الآية الكريمة:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعِ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كُنْتُمْ عَلَيَّامِينَ لَشَاؤُنَا فَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ ﴿34﴾﴾

[سورة الأعراف]

الله عز وجل هو الخبير، خبير بنفوس عباده، شريحة كبيرة، وقسم كبير من عباده لا يقوده إلى الحق وضوح الحق، بل قد يقوده إلى الحق، وإلى الإنابة، وإلى التوبة، شدة تصيبه ويبدو أن الله سبحانه وتعالى هذا أسلوبه في كل أنواع الشدائد، من أجل أن يسوقهم إلى بابه فرعون الذي قال :

﴿أَنَارَ بَطْنِي إِلَى السَّمَاءِ ﴿24﴾﴾

[سورة النازعات]

والذي قال :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَنْعًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) ﴾

[سورة القصص]

فحينما ابتلاههم الله بالقمل، والدم، والضفادع، هذه المصائب الكبيرة، وحينما نجا منها بنو إسرائيل شيء واضح، لو أن هذا البلاء عمّ الكل، لما كان له معنى، أما حينما ينجو المؤمن، معنى ذلك أن هذا تأديب من الله.

عدم معاملة المسيء كالمحسن :

الآن نستخدم هذه الفكرة بواقعا، أنت حينما ترى إنساناً مستقيماً، يعيش حياة طيبة راضية، متوازن، راضٍ عن الله، سعيد، موفق، سعيد في بيته، في عمله، له سمعة طيبة، أتم الله عليه الصحة، له ما يكفي، تجد إنساناً آخر منحرفاً، من مشكلة إلى مشكلة، من مطب إلى مطب، من مصيبة إلى مصيبة، من ضجر إلى ضجر، من إحباط إلى إحباط، شيء واضح جداً، اعمل موازنة بين هذا وذاك، تكتشف الحقيقة، والدليل الله عز وجل أعاننا على هذه الموازنة قال:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَخْيَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) ﴾

[سورة الجاثية]

أي من سابع المستحيلات أن يُعامل المحسن كالمسيء، المستقيم المنحرف، الصادق كالكاذب، العفيف كالإباحي، المنصف كالجاحد، مستحيل.

الهدى يرفع الإنسان و الضلال يرديه :

هناك أدلة صارخة في كل عصر، وفي كل مصر، المستقيم ناج، المستقيم سعيد، المستقيم متوازن، المستقيم موفق، المستقيم مسدد، المستقيم راضٍ، المستقيم متألّق، والمنحرف من مشكلة إلى مشكلة.

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) ﴾

[سورة البقرة]

الهدى رفعهم.

﴿ أَقْمِنِ لَنْ نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) ﴾

[سورة الزمر]

الضلال أراهم إما في كآبة، أو في إحباط، أو في سجن، الآية لها إسقاطات كبيرة جداً، فرعون، الطاغية الأكبر، الذي قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ حينما رأى نفسه محاطاً بمصائب تلو المصائب، وكوارث تلو الكوارث، ومحن تلو المحن، وسيدنا موسى وأتباعه في منجاة منها، شيء واضح تمام. مرة ثانية: حينما يأتي زلزال يدمر كل شيء في بلد مجاور، وينشر الإعلام الغربي صورة في مركز الزلزال لمسجد بمئذنته الشامخة، والمعهد الشرعي الذي إلى جانب المسجد، لم يتأثر بالزلزال، مع أنه أسأل المهندس: البناء ذو القاعدة الضيقة، والامتداد الطويل يجب أن يقع أول بناء، إشارة هذه، أنا سميتها رسالة من الله.

المؤمن يقوى بالله و يستمد منه الحكمة :

أيها الإخوة، لما وقع عليهم المصائب الذي أصابهم به، الآن:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ عندهم إله آخر، فرعون ريب، إله فرعون عندهم، رأو أن الإله فرعون ليس فعالاً، ليس بيده شيء، لكن إله موسى هو الفعال .

﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ (16) ﴾

[سورة البروج]

أنت لاحظ المؤمن معه قوة كبيرة، معه الدعاء، معه القدرة الإلهية، معه العلم الإلهي، معه الحكمة الإلهية، معه الرحمة الإلهية، هناك مؤمن ضعيف لكن يستعين بالله. طفل صغير إذا أبوه أغنى الأغنياء نقول هذا الطفل غني بغنى أبيه، إذا أبوه قوي جداً يحتل منصباً رفيعاً جداً، هذا الطفل الصغير يشعر بقيمته بين أقرانه أبي فلان. فالؤمن يقوى بالله، يستغني بالله، يعلم بالله، يستلهم من ربه الحكمة، فأنت قوي بالله، عليم بالله، حكيم بالله، كبير عند الله، فهذا الدرس بليغ لنا جميعاً.

الله مصدر الجمال فإذا منح الإنسان منه الرضا كان أسعد الناس :

الآن آيتان :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دُكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (124)

[سورة طه]

لا يمكن أن تجد على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إنساناً سعيداً وهو معرض عن الله، غني يوجد، بيت أربع مئة متر يوجد، مركبة ثمنها اثنتي عشرة مليوناً موجودة، كل شيء موجود، أفخر طعام، أفخر مركبة، أفخر أثاث، لكن لا يوجد سعادة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دُكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. إياكم أن تفهموا أن معيشة الضنك الفقر، لا أبدأ، وإياكم أن تفهموا أيضاً أن الحياة الطيبة هي الغنى، لا أبدأ، قد تكون أسعد الناس يدخل محدود، وقد تكون أسعد الناس بأصغر بيت، وقد تكون أسعد الناس بأخشن طعام، لأن الله مصدر الجمال، فإذا منحك منه الرضا كنت أسعد الناس.

من كان مع الله كان الله معه :

لن أبالغ إذا قلت الآن، وقد تكون في المفردة وأنت أسعد الناس، لأن يونس عليه السلام كان في بطن الحوت :

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (87)

[سورة الأنبياء]

إبراهيم كان في النار، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان في الغار .

((فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أس بن مالك]

إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك، يعني أنت أيها الأخ، كن من شئت، كن أفقر إنسان، كن أضعف إنسان، في التعظيم، كن بأي صفة تريد، إذا كنت مع الله كان الله معك، وإذا كنت مع الله كان الله ناصر لك، وإذا كنت مع الله كان الله مدافعاً عنك، وإذا كنت مع الله كان اتصالك بالله مسعداً. يعني إنسان أحياناً يقيم علاقة لطيفة مع شخص قوي، يشعر بز هو، يشعر بأمن أنه أنا معي رقم هاتفه، بأي لحظة أتصل به، إذا كان الشخص مع الله، إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دُكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَتَيْتَنَا فَتَبَيَّنْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)﴾

[سورة طه]

كنت أعمى في الدنيا (أنتك آياتنا فتبينتها وكذلك اليوم تنسى) .

من التزم منهج الله عز وجل عامله الله معاملة تختلف عن معاملة الإنسان الفاسق :

أيها الإخوة، لأن هذه المصائب التي أصاب الله بها فرعون وقومه معاً، ونجى منها بنو إسرائيل، أصبح درساً واضحاً، فتأكد أيها المؤمن مليار المائة أنك إذا كنت مع الله شعرت بالقوة، وشعرت بالأمن، وشعرت أن الله لا ينساك، ولا يتخلى عنك، وأنت بهذه المعية قوي وموفق، ومنتصر، ومتفوق، وأنت الفالح، وأنت الناجح، اسمعوا الآيات :

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (18)

[سورة السجدة]

شاب مؤمن يخاف من الله، يغضب بصره عن محارم الله، لا يكذب، يصدق، يحسن، بار بوالديه، وفي لإخوانه، ملتزم بمنهج الله، يتقيد بالشرع، يخاف أن يعصي الله، هذا الشاب هل يعقل أن يعامل في الدنيا كما يعامل الفاسق -دققوا- أنا قلت في الدنيا، بالآخرة شيء بديهي، في الدنيا، الدليل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ﴾ يعني صحته، زواجه، زوجته، أولاده، بيته، عمله، حتى في نزاهته، له نزاهات خاصة، نظيفة، راتعة، متواضعة لكن نظيفة، اختلاط لا يوجد، انحراف لا يوجد .

الفرق بين المؤمن وغير المؤمن ليس بالصلاة والصيام وإنما بالتصورات والقيم :

أيها الإخوة، أكاد أقول أحد أكبر أسباب الإيمان بالله أن ترى حياة المؤمن، وحياة غير المؤمن، هناك آية دقيقة جداً :

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10)﴾

[سورة الطلاق]

أين التهمة؟ عجيبة الآية ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ يعني هذا الإنسان انظر إلى بيته، انظر إلى مزاحه، انظر إلى كلامه، انظر إلى مواعيد، انظر إلى إتقان عمله،

عاهدنا رسول الله على السمع والطاعة في السراء وفي الضراء،

((بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِيْم.))

[صحیح البخاری عن عبادة بن الصامت]

صدقوا، أقول لكم هذا الكلام: المؤمن باستقامته، وطاعته، ومحبته، وإقباله، لا يتأثر لا قبل الزواج، ولا بعد الزواج، ولا قبل الغنى، ولا بعد الغنى، ولا قبل المرض، ولا بعد المرض، ولا قبل التآلق، ولا بعد التآلق لا يتغير .
دخل عليه الصلاة والسلام مكة مطاطى الرأس، حتى كادت نؤابة عمامته أن تلامس عنق بعيره تواضعاً لله عز وجل .

المصائب لا تصيب إلا من يستحقها :

إذا المصائب لا تأتي بشكل جماعي، لا تصيب إلا من يستحقها، الدليل:

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

[سورة الانبياء]

أوضح قصة أن سيدنا يونس وجد نفسه في بطن حوت بالمعايير الواقعية، الأمل بالنجاة كم؟ لأن الحوت وجبته المعتدلة أربعة أطنان، فسيدنا يونس لقمة واحدة، في ظلمة الليل، وفي ظلمة البحر، وفي ظلمة بطن الحوت، حالة نادرة جداً، حالة شبيهة مستحيلة، الحالة الأمل فيها صفر، صفر مكعب:
﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ دققوا الآن ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا قانون، أنت مؤمن، بأي مكان، بأي زمان، بأي عصر، بأي مصر، بأي بلد، بأي مدينة، غني، فقير، شحيح، مريض، قوي، ضعيف، صغير، كبير، أبدأ هذه الآية لك: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

لكل شيء حقيقة :

لذلك :

كن عن همومك معرضاً وكل الهموم إلى القضا

وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى

فلرب أمر مسخطف في عواقبه رخصاً

ولربما ضاق المضيق ولربما اتسع الفضا

الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضاً

الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

[صفي الدين الحلي]

دقق، لو أن هذه المصائب التي ألمت بفرعون وقومه أصابت سيدنا موسى وأتباعه ما قال فرعون هذا الكلام، هناك فرق، العوام لهم كلام ماله معنى، بل بعيد عن الحكمة، لأن البلاء يعم، لا، البلاء خاص، والرحة خاصة، ما معنى؟

﴿تَرْمِيهِمْ بِحَجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4)﴾

[سورة الفيل]

يعني كل حجر عليه اسم من سيبويه، لذلك لا يوجد بالقاموس الإسلامي رصاصة طائشة، هذه بالمفهوم الدنيوي، أما بالتوحيد لا يوجد شيء طائش، الدليل:

((لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء]

((فلا تَقُلْ : لو أتيتُ فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ ، فإن لو تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الإيمان الذي يأتي تحت الشدة لا قيمة له :

الآن نستطيع، والله الذي لا إله إلا هو لو تفرغ أحدنا، وتتبع أحوال من حوله الذي أنفق على أهله، وكان باراً بوالديه، وكان محسناً لأبناء رحمة أغناه الله، والذي عفت عن الحرام قبل الزواج رزقه الله زوجة صالحة، تسره إن نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها، وتطيعه إن أمرها، ولود ودود، والذي له تجارب قبل الزواج، له خبرات مع النساء قبل الزواج يأتي زواجه كقطعة من العذاب، الزوجة ما في حل وسط، إما أنها إحدى حسنات الدنيا، أو إنها إحدى المصائب التي يسوقها الله إلى بعض عباده.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ لأن الإيمان الذي يأتي تحت الشدة لا قيمة له، ما دام هناك شدة، هناك إيمان، رفعت الشدة زال الإيمان، كالذين ركبوا السفينة، فلما أوشكت على الغرق دعوا الله مخلصين، فلما نجاهم إلى البر **﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾** .

شيء طبيعي، لا تعباً بإيمان جاءك عن طريق الشدة، أعبأ بإيمان وأنت صحيح، شاب، معافى، ما عندك ولا مشكلة، تعرفت إلى الله .

أنا معجب إعجاباً كبيراً بشباب ما عنده مشكلة، متفوق في دروسه، صحته طيبة، له مكانة عند أهله، التزم بدراسة علم، تتبع أمر الله، قرأ القرآن، درس ما فيه، انتظم بمنهج الله، انتمر بما أمر الله، وانتهى عما عنه نهى الله، هذا الشاب بدايته محرقة بالاستقامة، له نهاية مشرقة، من كانت له بداية محرقة، كانت له نهاية مشرقة، أما كل شيء يأتي تحت الضغط، والجبر، والإكراه، ما دام هناك ضغط، هناك التزام، يزول هذا الضغط، يعود الإنسان إلى ما كان عليه .

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾

﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)﴾

[سورة الأعراف]

العاصي بعد زوال الشدة عنه يعود إلى ما كان عليه :

شخص راكب مركبته، في أحد شوارع دمشق، وقف عند الإشارة في الحجاز، إذ بأزمة قلبية تصيبه، فانكفاً على مقود السيارة، وزوجته إلى جانبه، فصرخت، ومن حكم الله أن صديقه وراءه صدفة، فحمله إلى مركبته، وأخذه إلى المستشفى، وضعوه بالعناية المشددة أيقن أنه على وشك مغادرة الدنيا، فطلب مسجلة، وشرطاً، وقال، هو كان أخ أكبر واغتصب أموال كل إخوته الصغار، البيت الفلاني لأخي فلان، والمحل الفلاني لأخي، والأرض الفلانية لأخي، بعد أن اغتصب كل الثروة، وقعوا على وكالة عامة، واغتصب كل أموالهم، أعطاهم النذر اليسير، واغتصب كل هذه الأموال، حينما كان في العناية المشددة، شعر أنه على وشك المغادرة، طلب آلة تسجيل مع كاسيت، مع شرط، بعد عدة أيام أعطوه مميعاً للدم، شعر ينشاط طلب الشرط وكسره، جاءت الثانية بعد ثمانية أشهر، وكانت القاضية، اعتبروا، الله أعطاه رسالة، لكن الله عز وجل يبعث رسالة واحدة وليس مئة رسالة، بعث رسالة، لو أنه تاب، تاب الله عليه .

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ على الشدة أمنوا، على الرخاء انتكثوا، إذ **﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾** نظرت إلى القانون؟ **﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾** وذكرت لكم أن سيدنا موسى تمنى على الله أن يرجع البحر بحرراً، لنلا يتبعهم فرعون، وتصور أن يبقى فرعون في الضفة الأخرى يبقى عند فرعون، أما الله عز وجل أبقى البحر طريقاً يبساً حتى أغرى فرعون أن يهبط إليه.

استدرج الإنسان المنحرف الضال المعتمد على قوته من قبل الله عز وجل :

يعني الله عز وجل يستدرج الإنسان مهما يكون ذكياً، مع الله لا يوجد ذكي، يؤتى الحذر من أمنه، يستدرج الإنسان المنحرف الضال، العاصي، وهو في قمة ذكائه، وفي بعض الأدعية: " واجعل تدميرهم في تدبيره " يجمع، يطرَح، يقسم، يخطط، يعمل عملاً، نهايته في هذا العمل، " اجعل تدميرهم في تدبيرهم " ، مع الله لا يوجد ذكي .

أحياناً يكون إنسان مختص باختصاص نادر جداً، عنده وهم أنه لن يصاب بمرض من اختصاصه، معظم الذين يعتدون بأموالهم، يصابون بمصائب لأجل المال .

شخص قال: الدار هم مرأهم، هذه ليست آية ولا حديث، الدراهم مرأهم، نُحل بها آية مشكلة، أقسم لي بالله بقي في المنفرة أربعة وستين يوماً وبلا سبب، بلا سبب مقنع، وبلا تهمة ظاهرة، وفي هذه الأيام الـ64 يأتيه خاطر في اليوم عشرة مرات، الدراهم مرأهم؟ تفضل حلها .

إياك أن تعتمد على مالك، ولا على قوتك، ولا على جاهك، ولا على صحتك، قال شخص: أنا لن أموت بسرعة، سألوه: قال: أنا وزني خفيف، رشيق، أكل معتل، كل طعامي صحي، أمشي كل يوم، وما عندي هموم، روي مرحة، وكلامه علمي صحيح، هذا الكلام يقتضي أن يعيش مئة سنة، قالها السبت، السبت الثاني كان تحت التراب .

إياك أن تعتد بشيء، لا بصحتك، ولا بعلمك، ولا بمالك، ولا تقول ابني، قد يذهب إلى بلاد بعيدة، ويتجنس، ويمنّ عليك باتصال بالسنة مرة، وضعت كل ما تملك من أجله لا تعلق على أحد أماًلاً .

((لو كنت متخذاً من أمّتي خليلاً لأخذت أبا بكر ، ولكن أخي وصاحبي))

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن عباس]

العاقل من اعتمد عليه في كل أموره :

علق أملك بالله، و ثقك بالله، ولا تخف إلا الله، الشرك الجلي أن تخاف مما سوى الله، وأن تطيع ما سوى الله، وأن تتأمل ما عند غير الله، هذا الشرك الجلي. ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ لا يوجد ذكي عند الله عز وجل، وأقوى الأقباء الذي هدم 70 ألف بيتاً في غزة، ويقول كلمات يصعب تصديقها، عجر فة، وكبر، و غطرسة، القتل عنده شيء ممتع، ولم يمت بعد، وأمد الله في عمره، الله كبير، أغنى الأغنياء في بريطانيا، كان يقرض الدولة، خزائنه للمال غرفة فدخل إلى الخزانة، وأغلق الباب خطأ، وصاح، لم يسمعه أحد، إلى أن مات جو عاً، فجر ح يده وكتب على الحائط أغنى إنسان يموت جو عاً. الباخرة التي كما قيل عنها في نشرة، لا يستطيع القدر إغراقها، غرقت في أول رحلة. المركبة المتحدي في أول رحلة بعد سبعين ثانية أصبحت كرة من اللهب، والثانية بعد عشر سنوات كولومبيا، في العودة أصبحت كرة من اللهب. لا نقل أنا، لا تعتمد لا على مالك، ولا على علمك، ولا على قوتك، اعتمد على الله. الصحابة الكرام هم نخبة البشر، اعتمدوا لا على نصر الله لهم، هذه قضية داخلية، غير معلنة، اعتمدوا على عددهم قال تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزُهُمْ فَلَغِيَ اللَّهُ مِنْهُنَّ الْكُنُوزَ أَكْبَرًا إِنَّكُمْ تَخْلَوْنَ بَيْنَكُمْ وَالْأَرْضُ بِمَرَحَبَتِهَا وَلَكُمْ فِيهَا حَظٌّ كَثِيرٌ وَلِلَّهِ الْوَسْطُ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا وَاللَّهُ بَاطِنُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة التوبة)

من قال أنا تخلى الله عنه و من قال الله تولاه الله برحمته :

أيها الإخوة، درسان بليغان جداً، إذا قلت أنا تخلى الله عنك، وإذا قلت الله تولاك، ملخص الملخص، تقول أنا بعلمي، باختصاصي، بمالي. إنسان جمع أموال الأطنلة بالملايين المملينة (القصة من خمسين سنة) عنده دار سينما، والأفلام فيها إثارة شديدة، والشباب أقبلوا عليها، وجمع أموال الأطنلة، ابن أخته تلميذ لي، أصابه مرض خبيث، رآه ابن أخته (وهو شاب بمقتبل حياته) يبكي، خفف عنه، قال له: أنا جمعت أموال الأطنلة حتى أتمتع بحياة مديدة، ها قد عاجلني المرض، وأنا سوف أموت، لأنك جمعت هذه الأموال على حساب أخلاق الشباب، دمرت الشباب. فاهل عز وجل كبير، و عقابه شديد.

﴿إِنْ يَبْطِشْ رَبُّكَ لِشَيْءٍ لِيَدَّبَّرْهُ﴾ (سورة البروج)

[سورة البروج]

إذا تقول الله يتولاك، تقول أنا يتخلى عنك، الصحابة قالوا الله في بدر الله نصرهم.

﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبِّكَ الْخُسْنَى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (137)

[سورة الأعراف]

من عاد إلى الله و اصطلح معه تولاه الله بنصره :

مرة ثانية:

﴿إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لِيُفْعَلُوا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (4) ونريد أن نمرن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (5) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (6) ﴿

[سورة القصص]

لعل الله عز وجل ينتظر منا أن نكون كهؤلاء المستضعفين، أن نعود إلى الله، وأن نصلح معه، وأن نتوب إليه، وأن نقيم الإسلام في بيوتنا، وفي أعمالنا، وفي منازلنا، وفي أنفسنا، لعل الله سبحانه وتعالى يمكننا كهؤلاء:

﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني الشرق الأوسط.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1)

[سورة الإسراء]

هذه بلاد الرسالات السماوية، هذه بلاد الأنبياء، بلاد الخير، بلاد الرحمة، بلاد الحياء، بلاد العدل، بلاد الإنصاف، الآن تشتعل ناراً، قدما للعالم نوراً، فأعادوه إلينا ناراً كما رأيتم.

﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخُسْنَى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

من طبق أمر الله وصبر تولى الله توفيقه ونصره :

إخواننا الكرام، بشكل واضح جلي، محنة المسلمين تُحل بكلمتين، لا ثالث لهما الأولى والثانية معاً :

﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)﴾

[سورة آل عمران]

وهذه الآية تُطَبَّقُ جماعياً أو فردياً، أنت بضائقة، اصبر ، اصبر وطبق أمر الله، وانظر كيف الله عز وجل يتولى توفيقك، اصبر والتزم، اصبر وأطع، أما اصبر واعص ما بعد الصبر والمعصية إلا القبر فقط ما من شيء ثان، لكن بعد الطاعة والصبر النصر والتوفيق .

﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ الكلمة الحسنَى أن الله ينصر من ينصره .

﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرَشُونَ﴾ كل شيء مدمر ، الفراغ بمصر أين هم؟ انظر إلى آثارهم، لهم إنجازات مذهلة .

وفي درس قادم إن شاء الله نتابع هذه القصة.

والحمد لله رب العالمين